



موسيقى الجاز وأثرها في

الموسيقى العربية

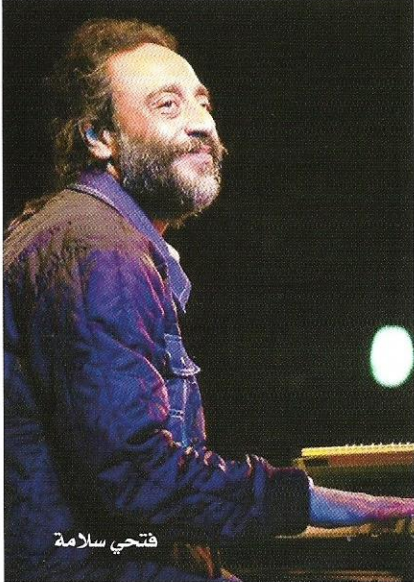


واثل قاقيش

w.kakish@rohmuscato.org.om

الجاز هو الموسيقى الأكثر أهمية، وتأثيراً، وابتكاراً، والتي نشأت أصلاً في الولايات المتحدة، وبالتحديد في مدينة نيو أورلينز في ولاية لويزيانا. وحتى يومنا هذا، لا يزال عشاق موسيقى الجاز يتوافدون من مختلف أرجاء العالم على صالة "المحافظة على التراث" في الحي الفرنسي في مدينة نيو أورلينز، والتي تعتبر مزاراً للأصوات الموسيقية التقليدية؛ حيث تتضمن الصالة معرضاً كاملاً لموسيقى الجاز بالآلات الموسيقية التي استعملها لوي أرمسترونج، وبيكس بايدر بيك، وأعلام آخرون في عالم موسيقى الجاز التاريخي والقومي في نيو أورلينز.

وبعد الجيش، وفي العام ١٩٦٨، كان قائداً لفرقة "كاير جاز باند" مع عازف الساكسفون الأمريكي ماك إكس سبيرز، وهارتموت جيركن وإيدو فيزفاري، وكانت أول فرقة جاز كبيرة في



فتحي سلامة

المثال: في "الجاز الحديث" - في بداية الستينيات - أصبحت المؤلفات أكثر تعقيداً من الجاز التقليدي القديم، خاصة التجديد في الإيقاع؛ إذ استخدم العازفون إيقاعات جديدة في ألحانهم، وعزف قارعوا الطبول بأسلوب أكثر تعقيداً، وهذا ما حاول الموسيقيون العرب تقليده؛ بداية من الموسيقار المصري صلاح رجب في الستينيات، ونهاية بمجموعات لا تحصى من الموسيقيين العرب في الوطن العربي وخارجه؛ حيث قام الفنان صلاح رجب بتأليف مقطوعات جاز كثيرة، ويعود الفضل إليه كرائد في تأسيس فن الجاز في مصر والعالم العربي في نهاية الخمسينيات. ابتداءً صلاح رجب مشواره الفني كقائد لفرقة موسيقية في الجيش؛ حيث كان له علامة مميزة في الجيش المصري في الستينيات، كونه فرقة موسيقية في الجيش تسمى بفرقة "نايل دايموندز" مكونة من عازفين: بيانو، مزمار، ساكسفون، جيتار ودرامز، وناي، وطبلية. وهي من النوع الغربي المختلط بالموسيقى الأمريكية اللاتينية.

أما بالنسبة لكلمة "الجاز"؛ فحقيقة ليس لها معنى واضح، ولكنه اسم أطلق على نوع من الموسيقى الشعبية، ترجع أصولها إلى موسيقى الـ "سوينج" الراقصة والمليئة بالحياة، وبعكس موسيقى "البلوز" الحزينة والهادئة. كل ما نعرفه عن موسيقى الجاز أنها نشأت في أوساط الأمريكيين السود في الولايات المتحدة، وتطوّرت إلى دمج عدّة أنواع مختلفة من الموسيقى من مختلف أنحاء العالم. ولكن أهم ما يُميّز موسيقى الجاز هو: الإيقاع والألحان الحاوية على عناصر من الموسيقى الإفريقية والأوروبية. أما الارتجال، فيُعدّ من خصائص الجاز المهمة، وهذا الرابط المهم والرئيسي بين هذه الموسيقى والموسيقى العربية، والتي بطابعها ترتكز على الارتجال، وهكذا الحال في معظم ألحان موسيقى الجاز، والتي تُعزف ارتجالاً أثناء تقديم المعزوفات كما هي الحال في التقاسيم في الموسيقى الشرقية. ... إن الجاز هو شكل من الموسيقى دائم التغيير، لكنه يُحافظ على سماته الأساسية؛ فعلى سبيل

عوامل موسيقى الجاز.. موسيقى شائقة، منعشة، حية، وراقصة في نفس الوقت.

تاريخ مصر: احتضنت الفرقة أبرز وأحسن الموسيقيين في ذلك الوقت.

وكان رجب مشهور خارج مصر لإبداعاته كمؤلف وملحن وقائد فرقة موسيقية عريقة، قدم من خلالها العديد من الألحان والإيقاعات العربية التي تم إدخالها مع موسيقى الجاز (الجاز الشرقي)، خاصة في مقطوعة كليوباترا؛ التي حاول رجب مزج الألحان الإفريقية بألحان خفيفة مرحة، مع محاولة إعطاء تخيل بأننا رجعنا إلى عصر الفراغة وموسيقاهم الجميلة. ويرجع الفضل إلى صلاح رجب في أنه استخدم اللحن الشرقي في أداء مقطوعات جاز تهب المشاعر بإيقاعات فريدة، مستخدماً ألحاناً وأغاني شعبية مصرية ذات فكرة موسيقية لا يمل منها المستمع في حاله تكرارها، وأدخل عليها تقاسيم شرقية في ابتكار جديد.

موسيقى الجاز.. موسيقى شائقة، منعشة، حية، وراقصة في نفس الوقت. أهم ما فيها أنها مبنية على ارتجالات فردية تشبه إلى حد ما "التقاسيم" في الموسيقى العربية، وهذه الارتجالات تبدو أقوى وأطول زمناً في الفرق صغيرة الحجم، والتي لا يتعدى أفرادها أربعة أو خمسة عازفين، وهذا يذكرنا كثيراً بفرق "التخت الشرقي" العربي، والتي هي أيضاً انتشرت انتشاراً واسعاً في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، والتي كانت تتألف من أربع أو خمس آلات موسيقية؛ وهي: العود، والقانون، والناي، والكمجة، والرق. وكان تركيز فرقة التخت على الارتجالات شرطاً أساسياً للعازفين، يتألق فيها العازفون في مقطوعات؛ مثل: التحميلة، أو استهلالات الأدوار، والموشحات،

خاصة في الليالي والمواويل، وهذا يُذكرني تماماً بطريقة أداء موسيقى الجاز الأمريكية؛ حيث هناك مؤلفات بسيطة وألحان متكررة تقود العازفين إلى ارتجالات فردية تظهر مهاراتهم وإبداعاتهم؛ حيث تصل بهم إلى ذروة النشوة واستدراج المستمعين إلى الاستمتاع الكلي؛ وذلك من خلال تفريدات شعورية صادقة، تتحول إلى حالات طربية مشابهة لحالة الطرب التي تحدث عند المستمع الشرقي عند سماعه "ليالي" أو "تقاسيم"؛ حيث تسمع صيحات المستمعين بطلب المزيد والإعادة، حتى الوصول لحالة النشوة، أو ما يسمى بـ "السلطنة". لهذا جذبت موسيقى الجاز الكثير من الموسيقيين من أصول شرقية؛ أمثال: صالح رجب، والأخوان الرحباني وابنهم زياد، وأنور براهيم، وريبع أبو خليل، وفتحي سلامة، وأمير الصفار، وسيمون شاهين، وعدد كبير لا يتسع المجال لذكرهم، والذين أسهموا -بشكل أو بآخر- في تعريب هذا اللون الموسيقي المشهور المسمى بـ "موسيقى الجاز". والمقصود بالتعريب هو إدخال نغمات شرقية على موسيقى الجاز الغربية؛ من خلال استخدام آلات موسيقية شرقية -كالعود، أو القانون والكمّان- تعزف مع الآلات الغربية كالبيانو والساكسفون والترميت، تقدّم فيه لوناً موسيقياً جديداً، يسميه البعض "أوريانثال جاز".

ومن أشهر الموسيقيين العرب الذين ذاع صيتهم في منتصف الثمانينيات والمبتكرين لفن "الجاز العربي": الفنان التونسي الأصل والمقيم في فرنسا أنور براهيم، وهو عازف عود هوى تأليف وعزف موسيقى الجاز

العربية، خاصة في ألبوماته الشهيرة "برخ" مع عازف الكلارينت التركي بارباريس أركوز، و"مدار" مع عازف الساكسافون يان جارباريك. قدّم براهيم حفل "جاز عربي" في سلطنة عُمان في العام ٢٠١٢، وبمرافقة كلاس جسنج على الكلارينت، وبجورن ماير على الباص، وخالد ياسين على الإيقاعات. ركّز العرض على تقديم مقطوعات موسيقية هادئة وتأملية، أضافت إليها أضواء المسرح الخافتة والألوان الهادئة جواً يغلب عليه الرومانسية والخيال. وكانت الآلات الموسيقية تتحاور بلغة هادئة جميلة لم تخل من الهرمونيات الغربية، التي أضافها العازفون، والتي استخدمت فيها مقامات ذات طابع شرقي مُستوحية نغماتها من أصوات غربية في طابعها كالنهاوند، والكرد والحجاز كار... وغيرها من المقامات الهادئة والرومانسية في طبيعتها. وهذا الأسلوب من الاسترسال في ألحان "مسبقة التأليف" أو (pre-composed)، يُقدم في عرض موسيقي يتضمّن تداخلات آلية ارتجالية؛ من خلال تقسيمات ومحاورات بين أفراد الفرقة الأربعة، وحيث كانت تغلق هذه الارتجالات جواً من التوازن بين الآلات الموسيقية الغربية والآلات الشرقية من جانب، وبين العازفين متنوعي الجنسية والذي جمعهم حبهم لفن الجاز -سواء التقليدي منه، أو الحديث المبتكر- من جانب آخر. قدم الفنان أنور براهيم مقطوعات من ألبومه الأخير "عيون المذهلة" تكريماً للشاعر الفلسطيني



Duke Ellington and
Louis Armstrong

محمود درويش.

أما الفنان المصري فتحي سلامة، فهو عازف على آلة البيانو، ومؤسس فرقة "شرقيات المصرية"، أحب الاستماع في طفولته إلى أغاني أم كلثوم وعبد الوهاب وفريد الأطرش. وفيما بعد، تمكن من الاستماع لموسيقى الجاز والموسيقى الكلاسيكية العالمية، ومن شدة حبه لها سافر إلى أوروبا ونيويورك لتعلم الجاز. عاد إلى مصر، ولحن العديد من الأعمال في الثمانينيات، حاملاً رسالته الموسيقية التقليدية والحديثة من بلده الأم؛ حيث يعبر بموسيقاه الجسر بين أصول الموسيقى الشرقية والاتجاهات الحديثة في الموسيقى العالمية في يومنا هذا. يُرافق الفنان سلامة في رحلته الفنية صلاح الأرتيست عازف الأكورديون البار، والذي يتألق بعزفه الماهر على هذه الآلة، وبتقلبه بين المقامات الشرقية البحتة -مثل: الرست، والبياتي والعشاق المصري... وغيرها- وهذه التقلات المقامية تحرك مشاعر المستمعين؛ سواء كانوا شرقيين أو غيرهم، وفي أسلوب "جازي" يختار الفنان سلامة "كوردات هرومونية" على البيانو ترافق ارتجالاً ومحاورات آلة الأكورديون. يقدم سلامة عرضاً يميل أكثر إلى الشرقية يعكس فرق الجاز العربية الأخرى التي تميل أكثر إلى الأسلوب الغربي؛ فهو يحرص على استخدام الإيقاع الشرقي، فهو أحياناً كلاسيكي بطيء كالمصمودي والدور الهندي أو شعبي سريع كالمفوف والأيوب. موسيقى فتحي سلامة مليئة بالألغام الشرقية الجميلة، والتي تعبر عن مدى تأثر سلامة بالفن العربي والمصري الأصيل.

أما الفنان اللبناني ربيع أبو خليل -المقيم في نيويورك في الولايات المتحدة- فقد تعلم الموسيقى العربية والغربية في الكونسرفتوار في بيروت، وبعدها غادر إلى ألمانيا؛ حيث بدأ بتعلم الموسيقى الكلاسيكية والعزف على الفلوت، ولكن آلة العود بقيت آلتة المفضلة. وفي بداية الثمانينات، كان المزج بين موسيقى الجاز وموسيقى الروك يُعتبر بالنسبة للكثيرين من معاني التجديد في موسيقى الجاز، لكن ربيع أبو خليل حاول مزج الموسيقى العربية التقليدية مع الموسيقى الكلاسيكية الأوروبية وموسيقى الجاز الأمريكية، والتي تعدُّ قفزة في الموسيقى المرتجلة التي ازدهرت سريعاً

مع انتشار موسيقى الجاز في التسعينيات. وعند مشاهدة الفنان ربيع في عروضه الموسيقية، نلاحظ أنه يميل إلى موسيقى أكثر "جازية"؛ في محاولة لتقليد صوت الجيتار على آلة العود، مشحوناً بضربات قوية على الأوتار تارةً عالية النبرة وغلظطة و"سكنوية" أحياناً، الهدف خلق محاورة ارتجالية آتية مع عازف الدرامز، حينها يصدر صوت عازف الساكسفون ليرافق هذه المحاورة بطريقة مماثلة تضيف بعداً جديداً لأداء هذا النوع من موسيقى الجاز.

وتعدُّ السيدة فيروز وابنتها الموسيقار زياد رحباني من أبرز من قدموا موسيقى الجاز في مجتمعنا العربي، لكنهما أضافا على الطابع الغربي الذي يتميز به هذا النوع من الموسيقى نكهة عربية شرقية؛ حيث نقل زياد والدته من الرومانسية المفرطة -التي كانت تغنيها- إلى عالم الجاز؛ لتطرب جمهورها بالعديد من الأغاني المتميزة على موسيقى الجاز؛ حيث حققت هذه الأغاني نجاحاً كبيراً في العالم العربي.

موسيقى "الجاز الشرقي" موسيقى مميزة وجديدة ومبتكرة.. نغماتها ممزوجة بصوت

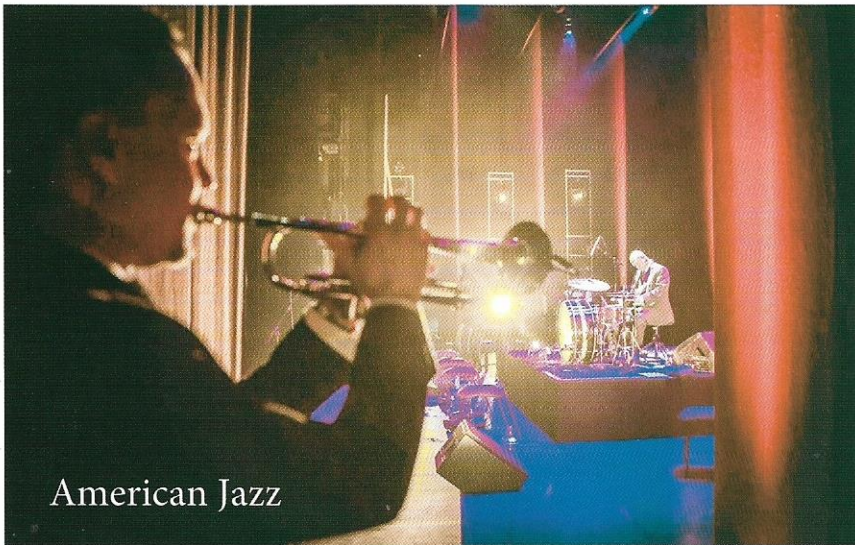


ربيع أبو خليل

غربي، ولكن بإحساس شرقي واضح وأداء موسيقى فني مُتقن. هي عبارة عن محاولة من بعض الفنانين العرب لابتكار نوع وأسلوب فني جديد وبعيد عن الموسيقى العربية التقليدية، أسلوب حديث شبابي "جازي" شامل لإيقاعات شرقية وألحان وأشكال مبتكرة حية ومنشعة. هذا النوع الجديد والمبتكر ابتعد كثيراً عن الأنواع والأساليب الموسيقية المتوارثة، ولكنه في الوقت ذاته حافظ على أسلوب الارتجال في الموسيقى الشرقية، ولكن بأسلوب "جازي"، أو كما يسميه البعض جرويف. ومن ناحية أخرى، تؤكد أنَّ الجاز العربي لم يتبع تماماً أصول إيقاعات وهرومونات الجاز الغربي، مع أنه استخدم بعض هذه الأساليب لخدمة هذا الابتكار الجديد، كما فعل من قبلهم كل من: سيد درويش، ومحمد عبد الوهاب، والأخوان الرحباني، وكثيرون غيرهم في بدايات القرن الماضي، إلا أنه وفي غضون محاولات جديدة مبتكرة تهدف إلى خلق مزيج فني وحضاري بين الموسيقى الشرقية والغربية عن طريق الفن المعاصر والحديث.



فرقة صلاح رجب



American Jazz